مجلة بحوث
كلية الآداب

البحث (٨)

من جماليات النظم فى الاستعارة القرآنية

قراءة فى نماذج جامعة

إعداد

أ.د / جاسم سليمان الفهيد

أستاذ البلاغة بقسم اللغة العربية وآدابها

كلية الآداب - جامعة الكويت

السنة ٢٨ العدد (١١١) اكتوبر ٢٠١٧م

http : // Art.menofia . edu. eg *** E- mail: rifa2012@ Gmail.com

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

من جماليات النظم في الاستعارة القرآنية قراءة في نماذج جامعة
أ.د.جاسم سليمان الفهيد
أستاذ البلاغة بقسم اللغة العربية وآدابها/كلية الآداب-جامعة الكويت

ملخص البحث:
تُعنى هذه الدراسة ببيان أهمية الجمع عند درس الاستعارة القرآنية بين معايير علم المعاني وقواعد علم البيان،وهو الأمر الذي لا يلقى عادة العناية الكافية عند درس فنون الاستعارة،فغالبا ما تتوجه عناية الدارس نحو تمثّل شروط علم البيان وذلك بالنظر إلى أن الاستعارة فن بياني بالدرجة الأولى،وقد ساعد على شيوع هذا المنهج القسمةُ الثلاثية لعلوم البلاغة العربية،التي ترتّب عليها فصل موهوم قد يمنع من الجمع بينها عند تحليل الظواهر البلاغية.
وتتألف مادة هذه الدراسة من نماذج مختارة من الاستعارات القرآنية،ويقوم المنهج المتبع في تحليلها على التعرف علي الآثار الدلالية للبنية التركيبية للاستعارة،وأثر ذلك في وظيفتها الإيضاحية،وتوزعت مباحث الدراسة على أشهر الانزياحات التركيبية وفق محوري الاستبدال والتوزيع ،وأفادت في تحقيق غايتها من كتب التفسير التي تعتني بالبلاغة القرآنية.

مدخل:
مدار هذا البحث على المزاوجة في درس الاستعارة القرآنية بين اعتبارات علم المعاني وقوانين علم البيان،وهو الأمر الذي يُغفل عنه كثيرا عند درس فنّ الاستعارة إذ يُكتفى غالبا برعاية شروط علم البيان والاحتكام إلى قوانينه باعتبار الاستعارة فنا بيانيّا بالدرجة الأولى،ومما أسهم في شيوع هذا المنهج القسمةُ الثلاثية لعلوم البلاغة،وما ترتّب عليها من فصل موهوم بينها حال دون تضافرها معا عند بحث الظواهر البلاغية،وإن كان أرباب القسمة لم يتوخّوا من تلك القسمة في الأصل سوى التسهيل على شُداة العلم بما يعين على حسن تصوّر مسائل كل علم منها وإدراك مغازيه على حدة،فإنّ تداخل المسائل وتقاطع التصوّرات مما يشوّش على ذهن الدارس المبتدئ كما هو متقرر في مناهج التعليم.
وتتوخّى هذه الدراسة بيان الآثار الدلالية المجنيّة من تحليل البنية التركيبية للاستعارة،وما تضيفه إلى الوظيفة البيانية من تشييد وتأييد بما يحقق الغاية البلاغية من سبك الكلام بحسب ما تقتضيه أحوال المقام ،مستعينة في كثير من مناحيها بما في كتب التفسير من توجيهات بلاغية ومقاربات بيانيّة.وتألّفت مادة البحث من جملة مختارة من الاستعارات القرآنية رُوعي فيها تقديم تصوّر مقبول لفكرة البحث،ولمّا كان منهج الاختيار ومسلك الانتقاء محلّ انتقاد عادة لإخلاله بمنهج الاستقراء المستوعب فقد حرصت الدراسة- قدر الإمكان-

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أن تستقرئ صورا تركيبية مختلفة للاستعارات القرآنية بغية الوصول إلى نماذج كلّية تصلح لرسم تصوّر واضح المعالم،جامعٍ للاعتبارات التركيبية المرعيّة عند تشكيل الاستعارة القرآنية.

ويقوم منهج الدراسة على تحليل الاستعارة القرآنية بحسب قواعد علم المعاني الموضوعة في الأصل للكشف عن الإعجاز النظمي للقرآن الكريم،والاجتهاد في التعرّف إلى الآثار النافعة المترتبة لها الرافدة للوظيفة البيانية الأصيلة للاستعارة،وقد اقتضى ذلك أن يُفصّل البحث بحسب تلك الاعتبارات التركيبية وفق محوري الاستبدال والتوزيع،ويندرج تحت كلّ اعتبار منها تحليلٌ لنماذج من تلك الاستعارات بما يكشف عن القيمة البلاغية لكل اعتبار منها على حدة،وهذه الاعتبارات هي:اسميّة اللفظ المستعار وفعليّته،وبناء الفعل لما لم يُسمَّ فاعله،وانزياحات التعريف والتنكير والتقديم والتأخير،والأسلوب الإطنابي، والتكرير.

- تصاقب النظم والاستعارة عند عبدالقاهر الجرجاني:

كان لعبدالقاهر الجرجاني فضل السبق إلى تقرير العلاقة الوثيقة بين النظم والاستعارة،وتنبيهه إلى أنّ أي مُقاربة فنيّة للاستعارة تُغفل هذه العلاقة لن تؤتي أُكُلها المأمول،وهو ما أجمله بعبارته التي تصلح أن تكون قانون الباب:**إنّ في الاستعارة ما لا يُمكن بيانُه إلا مِن بعد العلم بالنّظم والوقوف على حقيقته.**[1] وقد جعل جهات حُسن الكلام ثلاثا،فمنه ما يرجع حُسنُه إلى اللفظ دون النّظم ،وما يرجع إلى النظم دون اللفظ ،وما يرجع حسنه إلى الجهتين معا.والإشكال عنده في القسم الثالث الذي يكثر فيه الغلط حين يُبخَس حقُّ النظم منه عندما يطمح بصر الناظر إلى اللفظ وحده.ويمضي عبدالقاهر كعادته في تقرير فكرته بما أوتي من قوة عارضة وحسن بيان،مؤيّدا ذلك بتحليل جملة من الشواهد ،كقول الشاعر:

سالت عليه شِعابُ الحيِّ حينَ دعا = أنصارَه بوُجوهٍ كالدنانيرِ

قال عبدالقاهر:فإنك ترى هذه الاستعارة على لُطفها وغرابتها إنما تمَّ لها الحُسن وانتهى إلى حيث انتهى بما تُوخّي في وضع الكلام من التقديم والتأخير وتجدها قد مَلُحت ولَطُفت بمعاونة ذلك ومؤازرته لها.[2] وكما في تحليله للاستعارة في قوله تعالى﴿ واشتعل الرأس شيبا﴾[مريم:٤][3]،بل إنّه يذهب إلى أن الاستعارة المُبتذَلة تكتسب حُسنا وجدّة إذا رُوعي فيها حُسن النظم ،وقد ساق على ذلك جملة من الشواهد الشعرية[4]،عدّ منها قول المتنبيّ:

وقيّدتُ نفسي في ذُراك محبّةً = ومَن وجدَ الإحسانَ قَيْدا تَقَيَّدا

---

[1] -الجرجاني، عبدالقاهر:دلائل الإعجاز،تحقيق محمود شاكر،ط ٣ مطبعة المدني،القاهرة،١٩٩٢: ص ١٠٠.
[2] - السابق ص ٩٩.
[3] - السابق ص ١٠٠-١٠١.
[4] - انظر المصدر السابق ص ١٠٢ -١٠٥.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إذ قال:الاستعارةُ في أصلها مُبتذَلةٌ مَعروفة فإنّك ترى العاميّ يقولُ للرّجل يكثُر إحسانُه إليه ويبرُّه له حتى يألفه ويختار المقامَ عندَه:قد قيّدَني بكثرة إحسانه إليّ.قال:وإنّما كان ما ترى مِن الحُسن بالمسلك الذي سُلك في النّظم والتأليف.

١- اللفظ المستعار بين الاسمية والفعلية:

يكلّف أهل البيان بتصنيف الاستعارة بحسب اللفظ المستعار إلى أصلية وتبعيّة ،فالأولى ما كان اللفظ المستعار فيها اسم ذات أو اسم معنى ،والثانية ما كان فيها فعلا أو مشتقّا.غير أن لعلم المعاني نظرة أخرى تتعلق بدلالة الاسم والفعل،فالاسم دالٌّ على الثبوت وعدم التجدّد والتقيّد بزمن ما،خلافا للفعل الذي هو على الضدّ من ذلك. وتتجلي قيمة هذا الاعتبار عند تحليل هذه الاستعارات:

أ- قوله تعالى (أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا)[الأنعام:١٢٢].ففي الآية الكريمة استعارتان تمثيليتان متقابلتان ينتظمهما معا تشبيه تمثيليّ[٥]:

الأولى:في تشبيه هيئة المؤمن الذي شرح الله صدره للإيمان بعدَ الكفر بهيئة مَن كان ميتا فأحياه الله فنفع وانتفع بجامع الاهتداء والإفادة في كلٍّ،ثمّ ادُّعي دخول هيئة المشبه في هيئة المشبه به على سبيل الاستعارة التمثيلية.

الثانية:في تشبيه هيئة الكافر وما يلقاه من بؤس الضلال وشؤم الغواية بهيئة من يتخبّط في الظلمات ويعجز عن الخروج منها بجامع الجهل والحيرة في كلٍّ، ثمّ ادُّعي دخول هيئة المشبه في هيئة المشبه به على سبيل الاستعارة التمثيلية.

ولعل أوّل ما يرصده الناظر المتأمّل في هذه الاستعارة الكلّيّة الممتدة انطواءها على استعارات جزئية يتفاوت اللفظ المستعار فيها بين الاسم والفعل:

ففي بيان حال الكفر استُعير لصاحبه وصف الميّت (صفة مشبهة)،واستعير للكفر الظلمات بصيغة الجمع ،وكلا اللفظين اسم،واستُعير في بيان حال الإيمان النور للإيمان في صيغته الاسمية المصدريّة مُنكَّرا،والإحياء (أحييناه)والمشي (يمشي) في صيغتهما الفعلية الماضية والمضارعة.

ولو تأمّلنا في أسرار هذا الاختيارات التركيبية والصّرفية سنلحظ أن إطلاقَ وصف الميْت على الكافر منبئ عمّا ينطوي عليه الكفر من خمودٍ تامٍّ للحواسّ بتعطيلها عن النظر في الآيات،وصرفها عما فيه حياتها،فليس ثمّ إلا الجمود والسُّكون،فلا تجدّد فيه ولا تحوّل،فناسب

---

[٥]- ينظر في ذلك:

- الطيبي،الحسين بن عبدالله :فتوح الغيب حاشية الكشاف ،تحقيق جماعة ط ١ ،جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم ،دبي ،٢٠١٣م: ٢٣٣/٦.

- ابن عاشور،الطاهر :التحرير والتنوير ،ط١ الدار التونسية للنشر،تونس، ١٩٨٤ :٤٣/٨-٤٥.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أن يستعار له الاسم الدالّ على الثبوت وعدم التجدّد.ثم جاء الفعل الماضي في (أحياه) ليشعرنا بتحوّل طارئ،يقلب حال المرء من الضدّ إلى الضدّ إذ تدبّ الحياة في تلك النفس،فيَبعَث الفعلُ – لما فيه من دلالة التجدّد– حركة في المشهد الاستعاريّ تكشف عن أثر الإيمان في نفس المؤمن ومَن حوله.ثم استعير النور للاهتداء المكتسب إثر الإيمان،واختيرت له الصيغة الاسمية للدلالة على عدم تقيّد النور بزمن بعينه،بل هو يستغرق الأزمنة كلّها،ونُكّر النُّورُ للتعظيم أو للنوعية فالنور الحاصل بعد ظُلمة يكون عادةً أشد توهّجا وإضاءةً.ثم استعير المشي (يمشي به)لمعنى الدعوة إلى الهدى والجامع بينهما السعي لبلوغ الغاية،وجاء الفعل مضارعا ليفيد الاستمرار التجدّدي[٦] فيبعث في المشهد الاستعاري حركة فاعلة تقوم على استحضار الذهن صورة الفعل حال حدوثه وكأننا نراه ماثلا أمام أعيننا.وتعلّق بالفعل متعلّقان أحدهما: الاسم مجرورا بالباء (به) المفيدة لاستصحاب النور[٧]،والآخر مجرور بفي (في الناس)المفيدة لظرفية الفعل لبيان نفعه الآخرين به.

ثم استعيرت في الشق الثاني من الاستعارة الممتدة الظُّلمة للضلال بجامع الخفاء والجهل،وجُمعت للدلالة على أنّها ظلمات متراكبة يغرق فيها الضالّ فلا يهتدي سبيلا،وعملت (في) الظرفية على تصويره وهو في حال انغماس تام فيها،فالظلمات تبتلعه وتحيط به من كلّ جهة.ثم أُكّد المعنى الاستعاري بإطناب التتميم في (ليس بخارج منها)وجاء خبر ليس اسم فاعل (بخارج) للدلالة على استمرار النفي،فإقامته في الظلمات مؤبّدة.واسم الفاعل وإن شارك المضارع في الدلالة على الحال والاستقبال غير أنّه فيه توكيدا يجعله وسطا بين الفعل والصفة المشبهة،قال عبدالقاهر:"فإذا قلتَ(زيدٌ منطلقٌ) فقد أثبتَ الانطلاق فعلا له من غير أن تجعله يتجدّد ويَحدُث منه شيئا فشيئا،بل يكون المعنى فيه كالمعنى في قولك(زيد طويلٌ،وعمرٌو قصيرٌ) فكما لا تقصِدُ هاهنا إلى أن تجعل الطُّولَ أو القِصَرَ يتجدّد ويَحدُث،بل تُوجِبُهما وتُثبِتُهما فقط وتقضي بوجودهما على الإطلاق"،ثم يُقرِّرُ أنّ: الاسمَ يقتضي ثُبوتَ الصّفة وحصولَها مِن غير أن يكونَ هناك مُزاولةٌ وتَزجيةُ فِعلٍ ومعنىً يَحدُثُ شيئا فشيئا.[٨] وهو ما صرّح به الفخر الرازيّ أيضا إذ قال:اسمُ الفاعل يدلّ في كثيرٍ من المواضع على ثُبوت المصدر في الفاعل ورُسوخِه فيه،والفِعلُ الماضي لا يدلُّ عليه كما يُقال: فُلانٌ شَرِبَ الخمرَ،وفُلانٌ شاربُ الخمر.وفُلانٌ نفَذَ أمرُه،وفُلانٌ نافِذُ الأمر.فإنّه لا يُفهَم مِن صيغة الفعل

---

٦ - السامرائي،فاضل،معاني النحو،ط ١ دار إحياء التراث العربي،بيروت،٢٠٠٧ :٢٨٧/٣.

٧ - خلافا لمن قال إنها سببية كالطاهر بن عاشور في التحرير والتنوير (٤٥/٨).

٨ - الجرجاني،عبدالقاهر،دلائل الإعجاز ص ١٧٤ -١٧٥.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

التكرارُ والرُّسوخ ، ومن اسم الفاعل يُفهَم ذلك.[9] وهو نظير قوله تعالى في صفة أهل الجنّة﴿وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾[الحجر:٤٨].وزيدت الباء لتأكيد النفي.

وجاء هذا التركيب البياني في سياق الاستفهام التقريري الذي يفيد أنّ عدَم التساوي بين طرفي التشبيه من ضروب المُسلمّات التي لا ينبغي أن يتردّد الذهن في الإذعان لها والتسليم بها لما بين الفريقين من التباين الشاسع والتمايز الفاصل.

ب- وقوله تعالى﴿ وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾[يس:٣٧]،إذ استعير السَّلْخ لكشف النهار وزواله،وذلك على سبيل الاستعارة التصريحيّة التبعيّة[10].

وتظهر بلاغة النّظم في جعل اللفظ المستعار فعلا مضارعا (نسلخ)لدلالته على الاستمرار التجدّدي،فهذه الظاهرة الكونية تتكرّر كل يوم بتعاقب الليل والنّهار،فلا ينبغي- والحال كذلك- أن يغفل عاقل عن تأمّلها.

كما أن الفعل المضارع هنا دالّ على معنى التدرّج في حدوثه،"فموضوع الفعل على أنه يقتضي تجدّد المعنى المُثبَت به شيئا بعد شيء"[11]،ففيه تنبيه إلى أن فعل الانسلاخ يحصل بمهلة وتدرّج،فهو يقع جزءا إثر جزء،"فإنّ انفصال الليل عن النّهار لمّا كان شيئا فشيئا تدريجا،وكانت هوادي الصُّبح عند طُلوعه كالملتحمة بأعجاز الليل استعار لذلك لفظ السَّلْخ الدالّ على تفاصل المُتلاحِمَين شيئا فشيئا كما في جلد الحيوان المسلوخ"[12] ،إذ لا يهبط الظلام على الكون فجأة،ممّا يجعل تحوّل الزّمن من نهار إلى ليل على هذا النَّحو أمرا تتهيّأ النفوس لقبوله دون انزعاج واضطراب،فيسهل عليها استيعاب هذا التحوّل،وبحصوله على هذا النحو المتدرّج تستقيم أحوال الناس ولا تتكدّر شؤون معايشهم.

وأُوثِرت تعديةُ فِعل السَّلْخ إلى ضمير الليل بـ(مِن)الابتدائية﴿ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ﴾ على تعديته بـ(عن)،إذ يصحُّ أن يقال:انسلخ منه وعنه.وذلك لأنّه لُوحِظ في التعدية معنى الخروج أي:خروج النهار من الليل،وفي الخروج حصول معنى المفارقة بسهولة ويُسر،ولو عُدّي بـ(عن)لأفاد معنى المباعدة والمجاوزة بعد اتصال والتحام،وهو ما لا يكون بذلك القدر من السهولة واليسر الحاصل مع الخروج المتكرر،فقد نُظر فيه إلى قوله تعالى﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾[الحج:٦١].كما أن (عن)تفيد البُعد،تقول (جلس

---

[9] - الرازي،الفخر:التفسير الكبير:مفاتيح الغيب،ط١ دار الكتب العلمية، بيروت،٢٠٠٠م :٢٧/٢٥.

[10] - انظر في ذلك:
- الطيبي،الحسين بن عبدالله :فتوح الغيب: ٤٦/١٣.
- القزويني،الخطيب:الإيضاح في علوم البلاغة،تحقيق عبدالمنعم خفاجي،ط٣، الشركة العالمية للكتاب،بيروت،١٩٨٩:ص ٤٢٧.

[11] - الجرجاني،عبدالقاهر :دلائل الإعجاز ص ١٧٤.

[12] - الطوفي،سليمان:الإكسير في علم التفسير،تحقيق عبدالقادر حسين،ط١ مكتبة الآداب،القاهرة،١٩٧٧:ص١١٣.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عن يمين الأمير)تُفيد:جلس في ذلك الجانب بعيدا منه.[١٣] ولا تباعد بين الليل والنهار بل هما قرينان،فكلّ منهما يخلف الآخر بلا فاصل يباعد بينهما.

ج- وقوله تعالى﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾[التكوير:١٨]،استعير التنفّس لخروج ضوء الصباح بجامع الانشراح والانفراج في كلٍّ[١٤]،وذلك على سبيل الاستعارة التصريحية التبعيّة.[١٥] وجاء اللفظ المستعار فعلا ماضيا،إلا أنّ دخول (إذا)الظرفية على الفعل الماضي في أسلوب قسم يجعله دالاّ على الحال،"لأنّ (إذا) بعد القسم ظرف للحال فليس فيها معنى الشرطيّة،ولا تدلّ على الاستقبال"[١٦]،وهو ما يناسب مَقام القسم الذي يقتضي تدبّر هذه الآية الربّانيّة المتجدّدة المعلومة للمخاطب،لأنّها مشاهدة ماثلة للعيان كلّ يوم،فأُقسم بالصبح وقت تنفّسه. واختير للفعل الوزن الصرفي (تفعّل)الدالّ على التدرّج[١٧]، لأنّ إسفار الصبح لا يحصل بغتة دفعة واحدة بل بتدرّج وتمهّل لتتهيأ النفوس للانتقال من الإظلام إلى الإسفار بتُؤدة وأناة،فهو شاهد على الحكمة الربانية للصانع العليم الذي أحسن كلَّ شيء خَلْقَه.

د- وقوله تعالى﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾[الأنبياء:١٨].تحتمل الاستعارة في الآية أن تُجرى في القذف فتكون استعارة تصريحية تبعيّة بأنّ يُشبَّه إيراد الحقّ على الباطل بالقذف-وهو الرَّمي من بعيد- بجامع إزالة ما واجهه في كلٍّ،ثم حُذف المشبه.وتحتمِل أن تُجرى في الحقّ فتكون استعارة مكنيّة أصليّة بأن يُشبّه الحقُّ بالشيء الصُّلب الآتي من علٍ بجامع الغلبة والاستعلاء في كلٍّ ،ثم حُذف المشبّه به،وكُني عنه بشيء من لوازمه وهو القَذْف.[١٨]

وفي هذه الاستعارة مُراوحة بين استعمال الفعل والاسم:

فعُبِّر عن القذف بالحق بالفعل المضارع (نقذف)للدلالة على الاستمرار التجدّدي،إذ أن ذلك سنّة إلهية ماضية لا تتخلّف ولا تتعطّل.ثم رُشِّحت الاستعارة بالدّمغ – وهو كسر الدّماغ- في قوله (فيدمغُه)وقد جاء فعلا مضارعا ليتسق مع ما سبقه.ووُظّف الفعل المضارع في المشهد الاستعاري ليُضفي على المشهد التخييلي ثوبا من الحياة،وكأنه ماثل للعيان يتحصّل أمامنا شيئا فشيئا بدءا بقذف الحقّ وانتهاء بمصرع الباطل مَدموغا.

---

١٣ - انظر:عضيمة،محمد عبدالخالق:دراسات لأسلوب القرآن الكريم ،ط دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٤ :١٧١/٢.

١٤ -وقيل:استعار التنفس لنسيم الصبح،قال الزمخشري في الكشاف[ط مصطفى البابي ،القاهرة،١٩٦٦]: ٢٢٤/٤:فإن قلت:ما معنى تنفّس الصُّبح؟قلت:إذا أقبل الصبح أقبل بإقباله روح ونسيم،فجُعل ذلك نفسًا له على مجاز،فقيل: تنفس الصبح.

١٥ -وذكروا أنها تحتمل أيضا أن تكون استعارة مكنيّة،فانظر ذلك عند:
- الخفاجي،الشهاب:حاشيته على تفسير البيضاوي،ط بولاق ،القاهرة ،١٢٨٣ هـ:٣٢٩/٨.
- ابن عاشور،الطاهر:التحرير والتنوير: ١٥٤/٣٠.

١٦ - عضيمة،محمد عبدالخالق:دراسات لأسلوب القرآن الكريم:١٧٠/١.

١٧ - الحملاوي،أحمد:شذا العرف ،ط١٦ ،مطبعة مصطفى البابي،القاهرة،١٩٦٥: ص ٤٥- ٤٦.

١٨ - ووجه ثالث أنها استعارة تمثيلية كما تراه عند:
- الخفاجي،الشهاب:حاشيته على تفسير البيضاوي:٢٤٦/٦.
-الألوسي،محمود:تفسير روح المعاني، ط٢ إدارة الطباعة المنيرية ،القاهرة ، ١٩٢٦ :٢٠/١٧.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وفي مقام التعبير عن عاقبة هذا الصراع يُستعمل اسم الفاعل في قوله (فإذا هو زاهق)- وهو ترشيح ثانٍ -ليقرر أن صفة الزّهوق صفة ملازمة للباطل في كلّ وقت وحين- كما سلف في الحديث عن دلالته على ذلك -،وجاء اسم الفاعل خبرا في جملة اسمية بعد (إذا) الفجائية،والجملة الاسمية تفيد الثبوت كما هو مقرّر عند البلاغيين[١٩]،"وفي إذا الفُجائية والجملة الاسمية مِن الدلالة على كمال المُسارعة في الذهاب والبُطلان ما لا يخفى،فكأنّه زاهقٌ من الأصل"[٢٠].

٢- **بناء الفعل لما لم يُسمَّ فاعله:**

وفي هذا الضرب من الاستعارات يكون اللفظ المُستعار فعلا مبنيّا للمفعول إذ قُصد إلى طيّ ذكر الفاعل ليُقصَر انتباه المخاطَب على الفعل ومَن وقع به الفعل،فيتوفّر الذهن على تأمّلهما دون أن ينشغل بالفاعل.

فمن ذلك:

أ- قوله تعالى﴿ وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾[البقرة:٩٣]،إذ شُبّه تمكّن حُبّ العِجل من قلوبهم بالإشراب بجامع الممازجة والمخالطة على سبيل الاستعارة التصريحية التبعيّة.[٢١]

وبُني الفعل (أُشرِب)لما لم يُسمّ فاعله لإفادة تحقّق حُصول الفعل إذ هو الغرض المقصود من الكلام هنا،فاستغنى بذلك عن بنائه للفاعل،قال ابن جنّي:"إنّ الفعل إذا بُنيَ للمفعول لم يلزم أن يكون ذلك للجهل بالفاعل،بل لِيُعلمَ أنَّ الفِعلَ قد وقعَ به، فيكون المعنى هذا لا ذِكْرُ الفاعل،فالغرضُ في نحو هذا –

-المعروفِ الفاعل إذا بُنيَ للمفعول-إنّما هو الإخبارُ عن وقوع الفعل به حَسْبُ، وليس الغرض فيه ذِكْرَ

مَن أوقعَه به"[٢٢].

ومِن محاسن النّظم:

- حذْفُ المضاف إذ التقدير :وأشربوا في قلوبهم حُبَّ العِجْل.وبلاغته في المبالغة في تصوير شدة حبِّهم "حتى كأنّه تُصوِّرَ إشرابُ ذات العِجل"[٢٣].

---

[١٩] - انظر:
السكاكي،يوسف:مفتاح العلوم ،تحقيق نعيم زرزور،ط ١ دار الكتب العلمية،بيروت ١٩٨٣: ص٢١٨.
[٢٠] - القزويني،الخطيب:إيضاح التلخيص :ص ١٩١.
[٢١] - الآلوسي،محمود:روح المعاني:٢٠/١٧.
[٢٢] - انظر في تفسير الآية:
- الزمخشري،محمود:الكشاف:٢٩٧/١.
- ابن عاشور،الطاهر:التحرير والتنوير:٦١١/١.
المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات،تحقيق علي النجدي ناصف وآخرين،ط١ المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية،القاهرة،١٩٦٦ :١٣٥/١ بتصرف.
[٢٣] - السمين،أحمد بن يوسف الحلبي:الدّرّ المصون في علوم الكتاب المكنون ،تحقيق أحمد الخراط ،ط١ دار القلم ،دمشق،١٩٨٦: ٢ /٥.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عن يمين الأمير)تُفيد:جلس في ذلك الجانب بعيدا منه.[١٣] ولا تباعد بين الليل والنهار بل هما قرينان،فكلّ منهما يخلف الآخر بلا فاصل يباعد بينهما.

ج- وقوله تعالى﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾[التكوير:١٨]،استعير التنفّس لخروج ضوء الصباح بجامع الانشراح والانفراج في كلٍّ[١٤]،وذلك على سبيل الاستعارة التصريحية التبعيّة.[١٥] وجاء اللفظ المستعار فعلا ماضيا،إلا أنّ دخول (إذا)الظرفية على الفعل الماضي في أسلوب قسم يجعله دالاّ على الحال،"لأنّ (إذا) بعد القسم ظرف للحال فليس فيها معنى الشرطيّة،ولا تدلّ على الاستقبال"[١٦]،وهو ما يناسب مَقام القسم الذي يقتضي تدبّر هذه الآية الربّانيّة المتجدّدة المعلومة للمخاطب،لأنّها مشاهدة ماثلة للعيان كلّ يوم،فأُقسم بالصبح وقت تنفّسه. واختير للفعل الوزن الصرفي (تفعّل)الدالّ على التدرّج[١٧]، لأنّ إسفار الصبح لا يحصل بَغتة دفعة واحدة بل بتدرّج وتمهّل لتتهيأ النفوس للانتقال من الإظلام إلى الإسفار بتُؤدة وأناة،فهو شاهد على الحكمة الربانية للصانع العليم الذي أحسن كلَّ شيء خَلْقَه.

د- وقوله تعالى﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾[الأنبياء:١٨].تحتمل الاستعارة في الآية أن تُجرى في القذف فتكون استعارة تصريحية تبعيّة بأنّ يُشبَّه إيراد الحقّ على الباطل بالقذف-وهو الرَّمي من بعيد- بجامع إزالة ما واجهه في كلٍّ،ثم حُذف المشبه.وتحتمِل أن تُجرى في الحقّ فتكون استعارة مكنيّة أصليّة بأن يُشبّه الحقُّ بالشيء الصُّلب الآتي من علٍ بجامع الغلبة والاستعلاء في كلٍّ ،ثم حُذف المشبّه به،وكُني عنه بشيء من لوازمه وهو القَذْف.[١٨]

وفي هذه الاستعارة مُراوحة بين استعمال الفعل والاسم:

فعُبِّر عن القذف بالحق بالفعل المضارع (نقذف)للدلالة على الاستمرار التجدّدي،إذ أن ذلك سنّة إلهية ماضية لا تتخلّف ولا تتعطّل.ثم رُشِّحت الاستعارة بالدّمغ – وهو كسر الدّماغ- في قوله (فيدمغُه)وقد جاء فعلا مضارعا ليتسق مع ما سبقه.ووُظّف الفعل المضارع في المشهد الاستعاري ليُضفي على المشهد التخييلي ثوبا من الحياة،وكأنه ماثل للعيان يتحصّل أمامنا شيئا فشيئا بدءا بقذف الحقّ وانتهاء بمصرع الباطل مَدموغا.

---

١٣ - انظر:عضيمة،محمد عبدالخالق:دراسات لأسلوب القرآن الكريم ،ط دار الحديث، القاهرة،٢٠٠٤ :١٧١/٢.

١٤ -وقيل:استعار التنفس لنسيم الصبح،قال الزمخشري في الكشاف[ط مصطفى البابي ،القاهرة،١٩٦٦]: ٢٢٤/٤:فإن قلت:ما معنى تنفّس الصُّبح؟قلت:إذا أقبل الصبح أقبل بإقباله روح ونسيم،فجُعل ذلك نفسًا له على مجاز،فقيل: تنفس الصبح.

١٥ -وذكروا أنها تحتمل أيضا أن تكون استعارة مكنيّة،فانظر ذلك عند:

- الخفاجي،الشهاب:حاشيته على تفسير البيضاوي،ط بولاق ،القاهرة ،١٢٨٣ هـ:٣٢٩/٨.

١٦ - ابن عاشور،الطاهر:التحرير والتنوير:١٥٤/٣٠.

١٧ - عضيمة،محمد عبدالخالق:دراسات لأسلوب القرآن الكريم:١٧٠/١.

١٨ - الحملاوي،أحمد:شذا العرف ،ط١٦ ،مطبعة مصطفى البابي،القاهرة،١٩٦٥: ص ٤٥- ٤٦.

- ووجه ثالث أنها استعارة تمثيلية كما تراه عند:

- الخفاجي،الشهاب:حاشيته على تفسير البيضاوي:٢٤٦/٦.

-الآلوسي،محمود:تفسير روح المعاني، ط٢ إدارة الطباعة المنيرية ،القاهرة ، ١٩٢٦ :٢٠/١٧.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وفي مقام التعبير عن عاقبة هذا الصراع يُستعمل اسم الفاعل في قوله (فإذا هو زاهق)- وهو ترشيح ثانٍ ليقرر أن صفة الزهوق صفة ملازمة للباطل في كلّ وقت وحين- كما سلف في الحديث عن دلالته على ذلك -وجاء اسم الفاعل خبرا في جملة اسمية بعد (إذا) الفجائية،والجملة الاسمية تفيد الثبوت كما هو مقرّر عند البلاغيين[١٩]،"وفي إذا الفُجائية والجملة الاسمية مِن دالة على كمال المسارعة في الذهاب والبُطلان ما لا يخفى،فكأنّه زاهقٌ من الأصل"[٢٠].

٢- بناء الفعل لما لم يُسمّ فاعله:

وفي هذا الضرب من الاستعارات يكون اللفظ المُستعار فعلا مبنيّا للمفعول إذ قُصد إلى طيّ ذكر الفاعل ليُقصَر انتباه المخاطَب على الفعل ومَن وقع به الفعل،فيتوفّر الذهن على شأنهما دون أن ينشغل بالفاعل.

فمن ذلك:

أ- قوله تعالى﴿ وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ﴾[البقرة:٩٣]،إذ شُبّه تمكّن حُبّ العِجل من قلوبهم بالإشراب بجامع الممازجة والمخالطة على سبيل الاستعارة التصريحية التبعيّة.[٢١]

وبُني الفعل (أُشرِب)لما لم يُسمّ فاعله لإفادة تحقّق حُصول الفعل إذ هو الغرض المقصود من الكلام هنا،فاستغنى بذلك عن بنائه للفاعل،قال ابن جنّي:"إنّ الفعل إذا بُنيَ للمفعول لم يلزم أن يكون ذلك للجهل بالفاعل،بل لِيُعلمَ أنَّ الفِعلَ قد وقعَ به، فيكون المعنى هذا لا ذِكْرُ الفاعل،فالغرضُ في نحو هذا -

-المعروفِ الفاعل إذا بُنيَ للمفعول-إنّما هو الإخبارُ عن وقوع الفعل به حَسْبُ، وليس الغرض فيه ذِكْرَ

مَن أوقعَه به"[٢٢].

ومِن محاسن النّظم:

- حذفُ المضاف إذ التقدير :وأشربوا في قلوبهم حُبَّ العِجْل.وبلاغته في المبالغة في تصوير شدة حبّهم "حتى كأنّه تُصوّرَ إشرابُ ذات العِجل"[٢٣].

١٩- انظر: السكاكي يوسف:مفتاح العلوم ،تحقيق نعيم زرزور،ط ١ دار الكتب العلمية،بيروت ١٩٨٣: ص٢١٨. القزويني الخطيب:إيضاح التلخيص :ص ١٩١.

٢٠- الآلوسي محمود:روح المعاني:٢٠/١٧.

٢١- انظر في تفسير الآية: الزمخشري محمود:الكشاف:٢٩٧/١. ابن عاشور الطاهر:التحرير والتنوير:٦١١/١.

٢٢- المحتسب في تبيين وجوه شواذّ القراءات،تحقيق علي النجدي ناصف وآخرين،ط١ المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية،القاهرة،١٩٦٦ :١٣٥/١ باختصار.

٢٣- السمين أحمد بن يوسف الحلبي:الدّرّ المصون في علوم الكتاب المكنون ،تحقيق أحمد الخراط ،ط١ دار القلم ،دمشق،١٩٨٦: ٢ /٥.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

– وتقديم مُتعلّق الفعل (في قلوبهم) على نائب الفاعل (العِجل) لزيادة تقرير المعنى، لأنّ قوله (أُشربوا) لا يُعلم منه تعيينُ أيِّ مكان من أجسادهم حصل فيه الإشراب، فأبهم أولًا بإسناده إلى ضمير ذواتهم (واو الجماعة) ثم أوضح بعده.[24] وقُدِّم مكان الإشراب للاهتمام ببيان أثره في قلوبهم، وما تولّد عن ذلك من الكفر والضلال.

ب- وقوله تعالى﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ﴾[آل عمران:112]. استُعير ضربُ القُبّة ونحوها للجَعْل والتقدير بجامع الإحاطة واللزوم في كلٍّ على سبيل الاستعارة التصريحية التبعيّة.[25]

وبلاغة التعبير عن ذلك بالفعل الذي لم يُسمَّ فاعلُه: زيادة تقرير إثبات وقوعه وأنه لا ينفكّ عمّن وقع به، وتوفير الانتباه على الفعل ومعموله بترك تسمية الفاعل للعلم به.

ومن محاسن النَّظم:

– تقديم متعلّق الفعل (عليهم) على نائب الفاعل (الذلّة) للاهتمام بشأن المضروب عليهم (اليهود)، لأنّهم مَن يُساق عنه الحديث، وفي حرف الجرّ (على) المفيد للاستعلاء ما يُمهد السبيل للسامع لتوقّع أنّ المضروبَ عليهم أمرٌ فيه قهرٌ لهم، وأنّهم مظروفون بسطوته وسُلطانه.

– وتعريف الذلّة باللام الجنسيّة، فهي ليست أيّ ذلّة، بل هي الذلّة الكاملة بكل ما تحمله من معاني الهوان والاحتقار.

– والإطناب بالتتميم[26] في قوله (أينما ثُقِفوا)، فـ(أينما) اسمُ شرط للمكان بمعنى: في أيّ موضع. وأسماء الشرط من ألفاظ العموم كما يقول الأصوليّون[27]، وزيدت (ما) لزيادة الشيوع والإبهام. ففائدة التتميم: أنّ شمول الذلة إيّاهم يعمّ كلّ زمان ومكان.

ج- وقوله تعالى﴿ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ﴾[النساء:128]، إذ استُعير الحضورُ للاتصاف الجِبِلّي بجامع الملازمة التامّة على سبيل الاستعارة التصريحية التبعيّة.[28]

---

[24] - انظر:
- الطيبي، الحسين: فتوح الغيب: 2/581-582.
- ابن عاشور، الطاهر: تحرير التنوير: 1/611.

[25] - انظر في الاستعارة:
- الطيبي، الحسين: فتوح الغيب: 2/507.
- ابن عاشور، الطاهر: تحرير التنوير: 1/527.

[26] - ويأتي تعريفه في مبحث الأسلوب الإطنابيّ.

[27] - انظر:
- الغزالي، أبو حامد: المستصفى من علم الأصول، تحقيق محمد الأشقر، ط1 مؤسسة الرسالة، بيروت، 1997: 2/110.
- الزركشي، بدر الدين: البحر المحيط في أصول الفقه، ط1 وزارة الأوقاف، الكويت، 1988: 3/82.

[28] - انظر في تفسير الآية:
- الزمخشري، محمود: الكشاف: 1/568.
- الأندلسي، أبو حيّان: البحر المحيط ط2 دار الفكر، بيروت، 1983: 3/363-364.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وبُني الفعل (أحضِر) لما لم يُسمّ فاعله للإشارة إلى أنّ صفة الشُّح من الصفات الجِبِلّيّة التي لا يستطيع لها مدفعا في الغالب،وأنّها في حكم الطبيعة الغالبة على الإنسان،تمهيدا لالتماس العُذر للزوجين المتخاصمين عند تمسّك كل منهما بحظوظه[29] .ولهذا النفس،أوثرت تعديةُ الفعل (حضر)بالهمزة إلى مفعولين على إبقائه على ما كان في الأصل عليه،وهو تعدّيه إلى مفعول واحد فيُقال:حضرتِ الأنفسُ الشُّحَّ.وتعليل ذلك أنّ جَعْل النفس فاعلا لحضورها الشُّحّ يُنبئ عن إرادةٍ منها للفعل،وأنّها قصدت إليه بمحض اختيارها،فأنت تقول:حضر زيدٌ.إذا كان ذلك باختيار منه،ولا تقول:أُحضر زيدٌ.إلا إذا كان مجبرا على ذلك،ولهذا جُعلت في النظم القرآني نائبا للفاعل للإيماء إلى أنّ حضورَ الشُّحّ-الذي هو كالجبلّة التي طُبعت عليها- يُحِلُّها في مقام المنفعِل بحضوره لا مقام الفاعل المختار له ،قال الطاهر بن عاشور :ولكونه من أفعال الجِبلّة بُني فِعله للمجهول على طريقة العرب في بناء كلّ فِعل غير معلوم الفاعل للمجهول كقولهم:شُغِف بفُلانةٍ،واضطُرَّ إلى كذا.[30]

د- وقوله تعالى﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾[العنكبوت:٦٧][31]،وجرت الاستعارة في الفعل (يُتخطّف) الذي لم يُسمّ فاعله،وهي استعارة تصريحيّة تبعيّة إذ شُبِّه القتل والسَّلْب بالتخَطُّف بجامع سُرعة الإهلاك في كلٍّ.

وتَرْكُ تسمية الفاعل للإشارة إلى كثرة مَن هو صالح لأن يَصدُق صدور الفعل منه،فاستغني بذلك عن تفصيل أفراده إذ لا طائل وراءه،فالمقصود بيان كثرة وقوع فعل(التخطّف)بِمَن حولهم من الناس.وفي ذلك تعظيمٌ وتربيةٌ لفضل الله عليهم بجعلهم في أمن من هذا الفزع الشائع لحصولهم في جوار حرمه الآمن.

ومن محاسن النّظم:

- مجيء الفعل على مضارع صيغة (تفعَّل) الدالّة على العمل المتكرّر في مُهلة[32]،والمضارعة دالة على الاستمرار التجدّدي.ولا ريب أنّ الفِعلَ الحاصل على هذا النحو لا يُمكن أن يُدّعى خفاؤه على المقصودين بهذا الإنعام إذ هو فعلٌ مُتكررٌ مُتوالٍ،وفي ذلك تسجيل للامتنان عليهم بحفظهم من شرور استفحل شرُّها وتكرّر.

---

[29] - إذ تمام الآية الكريمة ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ﴾.

[30] - ابن عاشور،الطاهر:التحرير والتنوير:٢١٧/٥.

[31] - انظر في الآية:
- الزمخشري،محمود:الكشاف:٢١٢/٣.
- ابن عاشور،الطاهر:التحرير والتنوير:٢١/٣٣-٣٤.

[32] - عضيمة،محمد عبدالخالق:دراسات لأسلوب القرآن الكريم:٤٤٣/٤.

-وتعريف نائب الفاعل(الناس) بلام الجنس المفيدة للاستغراق العُرفيّ،فالإغارة والسلب لا يسلم منها عموم العرب باستثناء أهل الحرم،وفي ذلك من الامتنان عليهم ما لا يخفى ولا يُمكن أن يُنكَر.

-والإطناب بالتتميم بذكر مُتعلّق الفعل (من حولهم)وفائدته:تنبيههُم إلى أنّ تلك الشُّرورُ التي أمنوها ليست عنهم ببعيدة ،وأنها بمرأى ومسمع منهم كما يدلّ عليه الظرف المكانيّ(حول).

- ومجيء الكلام في سياق الاستفهام الإنكاريّ التوبيخيّ،إذ كيف يغيب عنهم هذا الإنعام الربّاني الذي اختصّوا به وهو منهم في محلّ المنظور المشاهد لكلّ ذي عينين؟.

٣- التعريف:

من شواهد بلاغة التعريف في تشكيل الاستعارة القرآنية:

أ- قوله تعالى﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا﴾ [البقرة:٢٥٦] ،وللبيانيين في تكييف هذه الاستعارة وجهان[٣٣]:

الأوّل-وعليه الأكثر -:أنّها استعارة تمثيلية إذ شُبِّهت هيئة ملازمة الاعتقاد الحقّ بهيئة التمسّك بالحبل المحكَم المأمون انقطاعُه،ثمّ ادُّعي دُخولُ هيئة المشبه في جنس هيئة المشبه به.

الثاني:أنّها استعارة تصريحية حيث استُعيرت العُروة الوثقى للإيمان بالله وتوحيده بجامع تحقيق النجاة في كلّ.

ومن جهة النَّظم نلحظ أن اللفظ المستعارة (العُروة) جاء مُعرّفا باللام،وهي هنا لام الجنس،وفائدة التعريف بها أنّها تصرف مدخولها إلى حقيقة الشيء وماهيّته،والمراد هنا المبالغة في استحقاق العروة الإيمانية لهذا الاسم دون غيرها من أفراد الجنس،"كما تقول:هو الرَّجُل.أي:الكامل في الرجوليّة لما يكون

في الرجال من مرضيّات الخصال"[٣٤].

ونُعتت العروة باسم التفضيل المؤنث (الوثقى)لتقرير هذا المعنى،ثم أُتبعت بجملة الحال (لا انفصام لها)- والفَصْم: كسرٌ بغير إبانة- على سبيل التوكيد أيضا.وكلاهما ترشيح للاستعارة.

---

[٣٣] - انظر:
-الزمخشري،محمود بن عمر:تفسير الكشاف:٣٨٧/١.
- العمادي،أبو السعود:إرشاد العقل السليم، تصحيح حسن مرعي والصادق قمحاوي، ط دار إحياء التراث العربي،بيروت د.ت :٢٥٠/١.
- الخفاجي،الشهاب:حاشيته على تفسير البيضاوي :٣٣٦/٢.
-ابن عاشور،الطاهر:التحرير والتنوير:٢٩/٣.

[٣٤] - الزمخشري،محمود بن عمر:الكشاف:١١١/١-١١٢.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ب- وقوله تعالى﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [الحجرات:١٢].

وهي استعارة تمثيلية إذ شُبّهت هيئة مَن يغتاب أخاه بهيئة مَن يأكل لحم أخيه ميتا بجامع قبح الفعل والتنفير منه في كلٍّ،ثمّ ادُّعي دخول هيئة المشبه في جنس هيئة المشبه به.[٣٥]

والتعريف بالإضافة في (لحم أخيه)للتنويه بقبح صنيع المغتاب وتشنيع جريمته،فإنّ أكلَ لحم الإنسان ممّا تنفر منه النفوس السويّة وتقشعرّ له الأبدان،فكيف بأكلُ المرء لحم أخيه ابن أمّه وأبيه؟!وقُيّد الفعل بالحال (ميتا) زيادة في التفظيع والتبشيع،فإنّ أكلَ جِيَف البهائم تعافه النفوس،فكيف بجيفة إنسان؟؟.

كما أفاد التعريف فاعل المحبّة بالإضافة في (أحدُكم)التعميمَ،إذ يصدق على كلّ المخاطبين،قال الزمخشري:إسنادُ الفِعل إلى (أحدُكم)،والإشعارُ بأنّ أحدا من الأحدِين لا يُحبُّ ذلك.[٣٦]

وجاء هذا التنفير من الغيبة في سياق الاستفهام التقريري التوبيخيّ لتأكيد أنّ ما ذُكر مذموم مستقبح فِطرةً،فلا يُتصوّر من أحد من المؤمنين أن يُحبّه أصلا.

ج-وقوله تعالى﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾[البقرة:١٣٨] إذِ استُعيرت الصِّبغةُ للدِّين بجامع التطهّر وظهور الأثر في كلٍّ على سبيل الاستعارة التصريحية الأصليّة.[٣٧]

وجاء المستعار منه مُعرّفا بالإضافة (صبغة الله) لما انطوت عليه الإضافة من تعظيم وتشريف اكتسبها المضاف من المضاف إليه،قال الزمخشري في شرح وجه التعظيم في التركيب الإضافي:صبغَنا الله بالإيمان صِبغةً لا مِثلَ صِبغتنا ، وطهّرنا به تطهيراً لا مِثلَ تطهيرنا.أو يقول المسلمون:صَبغَنا الله بالإيمان صِبغتَه،ولم نُصبَغ صِبغتَكم.اهـ

ومن مُؤكّدات الاستعارة على صعيد النَّظْم:

أنّ(صِبغةَ الله)انتصب"انتصابَ المصدر المؤكّد عن قوله﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ﴾ [البقرة:١٣٦]"[٣٨].كما

---

[٣٥] - انظر في الاستعارة:
- العمادي،أبو السعود:إرشاد العقل السليم:١٢٢/٤.
- الخفاجي،الشهاب:حاشيته على تفسير البيضاوي:٨١/٨
[٣٦] - الزمخشري،محمود بن عمر:الكشاف:٥٦٨/٣.
[٣٧] - انظر في الاستعارة:
- الطيبي،الحسين:فتوح الغيب:١٢٣/٣.
- ابن عاشور،الطاهر:التحرير والتنوير:٧٤٤/١.
[٣٨] - الأندلسي،أبوحيّان:البحر المحيط:٤١١/١ ـ ٤١٢.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أبعث الاستعارة بالتذييل الإطنابي في ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً﴾الذي تزيده تقر
وتوكيدا،إذ الاستفهام بمعنى النفي،فلا صبغةَ أحسنُ مِن صبغةِ الله.

٤- التنكير:

ووظيفته الدلالية في التشكيل الاستعاري:تفخيمُ شأن المستعار منه (المشبه به)أو الإشارة إلى
أنّه من نوعٍ مختلف عن سائر الأنواع الشائعة المعهودة،وكثيرا ما تجتمع الدلالتان معا في
العديد من الاستعارات،فمن ذلك:

أ- قوله تعالى في وصف المنافقين﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾[البقرة:١٠]وهو
استعارة تصريحية أصلية[39]،حيث استعير فيها المرض للنّفاق بجامع الفتور والضعف ع
يُصلحه في كلٍّ ،إذ يُطلَق في اللغة على الضعف والفتور ،ومنه قيل: فلان يُمرض
الحديثَ،أي يُفسِده ويُضعِفه.وقال ابن عرفة[40]:المرض في القلب:الفتور عن الحق،وفي البدن
فتور الأعضاء،وفي العين:فتور النظر"[41]. فالمرض فتورٌ في البدن،والنفاق فتور القلب ع
الإيمان يضعفه عن قبول الحقّ.وعمِل التنكير على بيان أنّ ما في قلوبهم من مرضٍ مختلف
عن سائر الأمراض المعهودة التي قد يُرجى علاجها،كما عظّم ضرره وفخّم أثره،فإنّه أقوى
الأدواء وأويلها.

وأشار الطاهر بن عاشور[42] إلى نُكتة تقديم الظرف (في قلوبهم)،فقال:"لهذا قُدِّم الظرف
وهو (في قلوبهم) للاهتمام،لأنّ القلوبَ هي محلُّ الفكرة في الخداع [أي:المتقدّم ذكره في الآية
قبله﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾[البقرة:٩]]،فلمّا كان المسئولُ عنه هو مُتعلّقُها وأثرُها كا
هو المهتمّ به في الجواب".

ب-وقوله تعالى﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُو
(٤٥) وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾[الإسراء:٤٥-٤٦]،وفيه ثلاث
استعارات تصريحيّة[43] يُقوّي بعضها بعضا:

الأولى:استعارة الحجاب للصَّرْف الرّباني بجامع المنع والحَوْل في كلٍّ،والتنكير فيه على سبيل

---

[39] - انظر في الآية:
- الرضي،الشريف:تلخيص البيان في مجازات القرآن،تحقيق مكي السيد جاسم،ط ١ علم الكتب،بيروت،١٩٨٦: ص ١٣.
- الزمخشري،محمود بن عمر:الكشاف:١٧٥/١.
[40] - هو محمد بن محمد ابن عرفة التونسي المالكي المتوفى سنة ٨٠٣ ه فقيه مالكي صاحب تصانيف،انظر:الزركلي،خير الدين :الأعلام ط٥،دار العلم للملايين، بيروت ،١٩٨٠ : ٤٣/٧.
[41] - الأندلسي،أبو حيان:تفسير البحر المحيط :٥٢/١.
[42] - في التحرير والتنوير:٢٧٩/١.
[43] - انظر في الاستعارات:
- الأندلسي،أبو حيان: البحر المحيط:٩٧/٤.
- العمادي،أبو السعود:إرشاد العقل السليم:١٧٥/٥-١٧٦.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

النوعيّة،"حجاب من غير جنس الحُجُب المعروفة،فهو حجابٌ لا تراه الأعين ولكنها ترى آثار أمثاله"[٤٤]،وجاء النعت(مستورا) ليُحقّق معنى النوعية،إذ الحجاب في نفسه محجوب عن غيره،كما أنّ في وصفه بذلك ترشيحا للاستعارة المحسوسة.

الثانية:استعارة الأكنّة – جمع كِنان وهو الغطاء –للضلالة بجامع المنع من وصول أثر المؤثّر في كلٍّ.وتنكير الأكنّة محتمل للتعظيم وللنوعية كما يحتمل أيضا التكثير كما في قوله تعالى﴿وَإِنْ تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾[العنكبوت:١٨].واستعمال حرف الجرّ(على)في(على قلوبهم أكنّة)مفيد للاستعلاء والقهر لكون الجعل منسوبا إلى الله تعالى[٤٥].

الثالثة:استعارة الوَقْر– وهو ثقل السَّمع– للعناد والتغافل بجامع تعطيل منفعة السمع في كلٍّ،ونُكّر للتعظيم أي:وَقْرا لا يُدرَك كُنهُه،ولا يُمكن وصفُه.

قال أبوحيّان:الظاهر أنّ الغطاء والصَّمم هنا ليسا حقيقة،بل ذلك من باب استعارة المحسوس للمعقول حتى يستقرّ في النفس:استعار الأكنّة لصَرْف قلوبهم عن تدبّر آيات الله،والثِّقل في الأذن لتركهم الإصغاء
إلى سماعه.[٤٦]

وفيه من نُكَت النّظم:

-تكرير فعلِ الجَعْل في (وجعلنا على قلوبهم)ما يقتضي التغاير بين معمول الجَعْل الأول (الحجاب) ومعمول الثاني (الأكنّة)،فليسا شيئا واحدا،ولم يتكرر فعل الجعل في (وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا)لئلا يُفصل بين السمع والقلب لما بينهما من تعالق وثيق،فالأذن هي القناة النافذة إلى القلب محلّ الفكر والعقل،فكأنّهما في حكم الشيء الواحد لما بينهما من تلازم واتصال.فالحجاب الأول:الحجاب المستور من الخارج يحول بين الكفّار والنبيّ ﷺ،والحجاب الآخر من الداخل يحول بين قلوب الكفار وآذانهم وبين الوعي والتعقّل.

- وتقديم متعلّق المفعول (على قلوبهم ،في آذانهم) عليه(أكنّة،وقرا)للاهتمام بشأن المقدَّم،ووجه الاهتمام التنبيه على تعلّق الجَعْل بالمقدَّم من أول الأمر.[٤٧]

ج- وقوله تعالى﴿ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾[البقرة:٢٥٠].

---

[٤٤] - ابن عاشور،الطاهر:التحرير والتنوير:١١٧/١٥.
[٤٥] - انظر:الطيبي،الحسين :فتوح الغيب :٥٦٣/١٣ -٥٦٤.
[٤٦] - الأندلسي،أبوحيّان:البحر المحيط:٩٧/٤.
[٤٧] - انظر:ابن عاشور،الطاهر:التحرير والتنوير:١٨٠/٧.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

استعير الإفراغ – بمعنى الصّبّ–للإنزال بجامع الكثرة مع الشمول والسّرعة،ثم حُذف المشبّه،واشتُقّ من الإفراغ فعل الأمر(أفرغ) بمعنى:أنزِل،وذلك على سبيل الاستعارة التصريحية التبعيّة.[٤٨]

ونُكّر الصبر تعظيما لشأنه وتفخيما،فالمسؤول في دعائهم ليس صبرا كأيّ صبر،بل الصبر الذي يستحق أن يُوسَمَ بأنّه منحة ربّانيّة يترتّب عليها ثبات أقدامهم في القتال وهزيمة أعدائهم.فالتنكير محتمل للنوعيّة أيضا.

ومن محاسن النظم:

جَعْلُ مُتعلّق فعل الإفراغ (علينا) اسما مجرورا بـ(على) المفيدة للاستعلاء،وفائدته:"أن يُصَبَّ عليهم الصَّبرُ حتى يكون مُستعلياً عليهم،ويكون لهم كالظَّرف وهم كالمظروفين فيه".[٤٩] كما قُدّم متعلّق الفعل (علينا) على مفعوله (صبرا) للاهتمام بشأن الداعي الذي هو مقصود الدّعاء ومُراده.

د- قوله تعالى﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي﴾[طه:٣٩]،وفيه استُعير الإلقاءُ للجَعْل بجامع التمكّن والتحقّق في كلٍّ ،وذلك على سبيل الاستعارة التصريحية التبعيّة.ويجوز أن تُجرَى باستعارة ما يُلقَى من أجرام للمحبة بجامع الحصول والثبوت في المحلّ في كلٍّ،ثم حُذف المشبه به،وكُني عنه بشيء من لوازمه وهو الإلقاء على سبيل الاستعارة المكنية الأصلية.[٥٠]

ونُكّرت المحبّة لبيان النوعيّة،فهي ليست كالمحبة الطبيعية الحاصلة تجاه الولدان،فإنّها لا تحصل بالضرورة من كلّ الناس،وإنما تغلب على من كان قريب الصلة بالوليد.ومثل هذه المحبّة ممتنعة الحصول في العادة في حقّ موسى وفرعون إذ إنّها حصلت في قلب من هو عدوّ لموسى ﴿ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ﴾.ورُشّحت النوعية والفرادة بالصفة في شبه الجملة (منّي) المفيدة لكونها محبّة ربّانية أوجدتها العناية الإلهيّة.

وفي تقديم مُتعلّق الفعل– وهو الجارّ والمجرور (عليك)–على مفعوله (محبّة)إشعار بأن ذلك كان لأجل موسى ولرعاية شأنه وحفظه من كيد عدوّه،وفي ذلك اختصاصه بمزيد من التشريف والتكريم،وسياق الآيات سياق امتنان وتفضّل.واستُعمل في ذلك حرف الجر (على)

---

[٤٨] - ويمكن إجرازها بتشبيه الصبر بالماء المصبوب،ثم حذف المشبه به،وكني عنه بشيء من لوازمه،وهو الإفراغ على سبيل الاستعارة المكنية.
وانظر:
-الطيبي،الحسين:فتوح الغيب: ٥١٦/٩
- الآلوسي،محمود:روح المعاني:٢٨/٩.

[٤٩] - الأندلسي،أبوحيّان:البحر المحيط :٢٦٨/٢.

[٥٠] - انظر في الآية:
- الرّضي،الشريف:تلخيص البيان ص ١٥٧.
- ابن عاشور،الطاهر:التحرير والتنوير:٢١٧/١٦.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المفيد للاستعلاء للإشارة إلى أن المحبة قد أحاطت بموسى من كلّ الجهات حتى صار كالمظروف لها.

٥-التقديم والتأخير:

أ- قوله تعالى﴿ وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾[مريم:٤]،إذ يجوز إجراء الاستعارة في الاشتعال بأن يُشبّه انتشار الشيب في الرأس باشتعال النيران بجامع سرعة الانبساط مع تعذّر تلافيه،ثم حُذف المشبه (الانتشار) على سبيل الاستعارة التصريحية التبعيّة.أو في الشيب بأن يُشبّه بشُواظ النّار بجامع البياض والإنارة في كلّ،ثم حُذف المشبّه به،وكُني عنه بشيء من لوازمه وهو الاشتعال على سبيل الاستعارة المكنية الأصليّة.[٥١]

وقد أفاض عبدالقاهر الجرجاني[٥٢] في بيان بلاغة النّظم التركيبي للاستعارة بما لا مزيد عليه،إذ نعى على مَن قَصَرُوا شرفَ هذا التعبير وفخامته على مجرّد الاستعارة،وأشار إلى أنّ الفضل عائد إلى تقديم الرأس على الشيب في البناء التركيبي ،فوازن بين (اشتعل الرأس شيبا)و(اشتعل شيب الرأس)،وذكر أنّ﴿شيبا﴾ تمييزٌ للنسبة مُحوَّلٌ عن الفاعل، وأصلُه: اشتعل شيبُ الرأس.أو على حدّ عبارته:" سُلِكَ بالكلام طريقُ ما يُسنَد الفعلُ فيه إلى الشيء وهو لما هو مِن سببِه،فيُرفَع به ما يُسنَد إليه،ويُؤتَى بالذي الفعلُ له في المعنى منصوباً بعده." ثم ذكر أنّ فائدة التحويل: إفادة الشمول لجميع ما فيها ،"لأنّه يفيد –مع لَمعانِ الشيب في الرأس الذي هو أصلُ المعنى–الشُّمولَ،وأنّه قد شاع فيه وأخذَه من نواحيه،وأنّه قد استغرقَه،وعمَّ جُملتَه حتّى لم يبقَ من السَّواد شيءٌ،أو لم يبقَ منه إلا ما لا يُعتدُّ به.وهذا ما لا يكون إذا قيل: "اشتعل شيبُ الرأس –أو: الشيبُ في الرأس".بل لا يُوجِب اللفظُ حينئذٍ أكثرَ مِن ظهوره فيه على الجملة."ودلّل على صحة ما ذهب إليه بالموازنة بين قولك(اشتعل البيتُ نارا)وقولك(اشتعلتِ النّارُ في البيت)،فمعنى الأوّل أنّ النّارَ قد وقعت فيه وُقوعَ الشُّمول،وأنّها قد استولت عليه وأخذت في طرفيه ووسَطِه.وأمّا الثاني فلا يفيد ذلك،بل لا يقتضي أكثرَ مِن وقوعها فيه وإصابتِها جانباً منه.

وختمَ محاسنَ هذا النَّظم بالإشارة إلى الإيجاز في ترك إضافة الرأس اكتفاءً بعلم المخاطب أنه رأس زكريا –

---

٥١ - انظر في الاستعارة:
- الزمخشري ،محمود:الكشاف:٥٠٢/٢.
- القزويني ،الخطيب:إيضاح التلخيص ص ٤٢٧.

٥٢ - الجرجاني،عبدالقاهر:دلائل الإعجاز ص ١٠٠-١٠٢.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عليه السلام-،فتعريفُ الرأس بالألف واللام وإفادة معنى الإضافة من غير إضافة هو أحدُ ما أوجب المزيّةَ."

ب- وقوله تعالى﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[الزخرف:٤٠] فيه استعارتان تصريحيّتان أصليّتان:إذ استعير للكافر وصفُ الأصمّ بجامع تعطّل منفعة السمع في كلٍّ،ووصف الأعمى بجامع تعطّل منفعة البصر في كلٍّ.[٥٣]

وزُوعي في التركيب السياقي للاستعارة بناء الجملة للاسمية دون الفعليّة(أفتُسمع الصُّمَّ...إلخ) وإن كانت الأصل لكون الخبر فعليّا،فقُدّم ما كان في الأصل فاعلا (أنت)إلى الصدارة مبتدأ،والغرض من ذلك:الحصر والتخصيص لتربية معنى الإنكار والتعجيب من تصوّر حصول ذلك من أحدٍ أصلا،إذ المعنى"أن يُقال للنبيّ ﷺ :أأنت خصوصا قد أُوتيت أن تُسمِعَ الصُّمَّ؟وأن يُجعَلَ في ظنّه أنّه يستطيع إسماعَهم بمثابة مَن يظنّ أنّه قد أُوتي قدرةً على إسماع الصُّمِّ "[٥٤].

ويلحق بذلك من حيث الوظيفة الدلالية:الاستفهام الإنكاري التعجّبي الذي جاءت الاستعارة في سياقه،وكلاهما – أعني:التقديم والاستفهام -مما يقرّر مقصود الاستعارة،وهو:أن أولئك الكفّار قد استحقوا وصْفَي الصمم والعمى لشدة عنادهم وفرط عتوّهم،فلا سبيل لرفع ذلك عنهم من أيّ أحد وإنْ كان نبيّا مُرسَلا.

ج-وقوله تعالى﴿مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾[الروم:٤٤]،جرت الاستعارة في (يمهدون) بمعنى:يجعلون مهادا.أي:فراشا.وتحتمل أن تكون استعارة تبعيّةً إذ شبّه الاستعداد للآخرة بعمل الصالحات بتوطئة الفراش وتسويته بجامع الرغبة في تحصيل ما ينفع في كلٍّ.أو تمثيليّةً بتشبيه هيئة المؤمنين في عملهم الصالح بهيئة مَن يطلب راحة رقاده فيُوطّئ فِراشَه ويُسوّيه لئلّا يعرض له ما يقلق منامه،والجامع:الاجتهاد في تحصيل ما ينفع في كلٍّ،ثم ادُّعي دخول هيئة المشبه في جنس هيئة المشبه به.[٥٥]

وحصل التقديم في جواب الشرط (فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ)إذ تقدّم متعلّق الفعل/الجارّ والمجرور (لأنفسهم) على الفعل والفاعل (يمهدون) لإفادة الاختصاص،فالله لا تنفعه طاعة الطائعين كما لا تضرّه معصية العاصين،فالعمل الصالح إنّما ينتفع به فاعله.وقيل:للاهتمام والعناية إذ

---

[٥٣] - انظر في الآية:
- الزمخشري،محمود:الكشاف:٤٨٩/٣.
-الأندلسي،أبوحيّان:البحر المحيط:١٧/٨-١٨.

[٥٤] - الجرجاني،عبدالقاهر:دلائل الإعجاز ص ١٢٠-١٢١.

[٥٥] - انظر في هذه الاستعارة:
- الطيبي،الحسين:فتوح الغيب:٢٥٨/١٢.
- ابن عاشور،الطاهر:التحرير والتنوير:١١٧/٢١.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

القصد من ذلك النجاة بأنفسهم من عذاب الله،فمدار العمل الصالح على تحقيق هذه الغاية بحفظ النفس،ولذلك قُدّم ما يتعلّق بها اهتماما به.

وترتّب على هذا التقديم فائدة إضافية،وهي رعاية فواصل الآيات إذ كانت فاصلة الآية السابقة لها ﴿ يَصَّدَّعُونَ﴾.

د-وقوله تعالى﴿ وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ (٢٢٤) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴾[الشعراء:٢٢٤-٢٢٥] [٥٦].والاستعارة في الآية الثانية وهي محتملة لأن تكون تصريحيّة أصليّة مرشّحة إن أُجريت في (كلّ واد) بأنه تُشبه أغراض الشعر ومراميه بالأودية المتشعّبة بجامع التّيه والتّشتت في كلٍّ،ثم حُذف المشبه،وأتبعت بوصف الهيام- وهو الذّهاب في الأرض بغير هُدىً- المناسب للأودية ترشيحا للاستعارة.أو تمثيليةً إن أُجريت في التركيب،وذلك بأن تُشبّه هيئة الشعراء حال خوضهم في كلّ وجوه القول بلا تثبّت بهيئة مَن يَهيم على وجهه في كل واد بلا دليل يرشده،والجامع التخبّط في الضلال في كلٍّ،ثم ادُّعي دخول هيئة المشبه في جنس هيئة المشبّه به.

وحصل التّقديم بتقديم متعلّق الفعل/الجارّ والمجرور (في كلّ واد)على الفعل والفاعل (يهيمون) في جملة خبر (إنّ).والغرض منه:المبالغة في التّشنيع عليهم والمناداة بضلالهم ،إذ إنّ وصفهم بالهيام وإن كان ذمّا لهم غير أن الأدهى منه أنّهم لا يرتدعون عنه إذ تراهم يقدمون على الخوض في كلّ واد،وهو ما يقتضي تكرر الهيام منهم واستمراءهم التّامّ له!.

ومن محاسن النّظم:

- إيراد الاستعارة في سياق الاستفهام التقريريّ الدالّ على أن ضلالهم مُعاين مُشاهَد لكلّ ناظر فلا يتطلب تأمّلا ولا تفكرا،بل يكفي أن تُرى أحوالهم ليثبت في حقّهم هذا الوصف،"والخطابُ لكلّ مَن تتأتّى منه الرؤيةُ للإشارة إلى أنّ حالَهم من الجلاء والظهور بحيث لا يختصّ برؤيته راءٍ دون راء"[٥٧].

-وتوكيد الإخبار عنهم بـ(إنّ) المؤكدة لمضمون الجملة لتقريره في ذهن المخاطب.

-واستعمال الفعل المضارع (يهيمون)الدالّ على الاستمرار التّجدّدي،فهم لا يرعوون عن ذلك وإن بان ضلالهم ،بل يُعاودون الفعلَ عينَه في كل مرّة.

هـ-وقوله تعالى﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ (٦٥) فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ ﴾[القصص:٦٥ -٦٦].وقعت الاستعارة في﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ﴾،وتحتمل

---

[٥٦] - انظر في الآية:
- الرضي ،الشريف:تلخيص البيان ص ١٩٣.
- الزمخشري،محمود:الكشاف:١٣٣/٣.

[٥٧] - الألوسي،محمود:روح المعاني :١٤٦/١٩.

أن تكون تصريحيّة تبعيّة،وذلك عند تشبيه حيرتهم بالعَمَى بجامع الخفاء والاشتباه في كلٍّ،أو مكنيّة أصليّة بتشبيه الأنباء بالعُمْي بجامع عدم الاهتداء في كلٍّ،ثم حُذف المشبّه به،وكُني عنه بشيء من لوازمه وهو فعل العمى.[58]

وحصل التقديم بتقديم مُتعلَّق الفعل/الجار والمجرور(عليهم)على الفاعل(الأنباء)، وفائدته توفير الاهتمام على بيان حالهم في مقام السؤال والحساب،وهو الأولى بالعناية وفاءً بمقتضيات الحال.

ومن محاسن النّظم:

- التعبير عن المستقبل بصيغة المضي في(فعَمِيَت)للدلالة على تحقّق وقوعه.[59]

-وتعريف الأنباء بلام الجنس لإفادة الاستغراق لتقرير حيرتهم التامّة في هذا الموقف.

-وتعديّة الفعل (عَمِيَ) بـ(على) بدلا من (عن) لتضمين الفعل معنى الخفاء والاشتباه[60].

-والقلب للمبالغة على اعتبار أن الأصل:فعَمُوا عن الأنباء.بإسناد العَمى إليهم،فقُلب بإسناد العَمى إلى الأنباء.[61]

٦- الأسلوب الإطنابيّ:

أ- قوله تعالى﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ (٤٢) وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ﴾[يونس:٤٢ -٤٣].في الآيتين استعارتان تصريحيّتان أصليّتان كما سلف بيانه قريبا في مبحث التقديم.

وقد تكررت استعارة هذين الوصفين للكفّار في عدّة آيات قرآنية،إلا أنّها هنا قد تأيّدت بما أُتبعت به من الإطناب في قوله﴿ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ﴾وقوله﴿وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ﴾،ويُسمَّى هذا الضرب من الإطناب إيغالا،ويُعرّف بأنّه:خَتْم الكلام بما يُفيد نُكتة يتمّ المعنى بدونها.[62] إذ قد تمّ المعنى قبل ذلك،وتحقيقا لغرض المبالغة في إثبات المعنى خُتمت الآيتان بذلك،وبيانه:أن الأصمّ قد يُمكن إفهامه بعض المعاني بالإشارة لكن ذلك يتعذّر إذا انضمّ إلى

[58] - يُنظر في الاستعارة:
- الطيبي،الحسين:فتوح الغيب:٩٧/١٢.
- الخفاجي،الشهاب:حاشيته على البيضاوي:٨٢/٧.
[59] - انظر:الأندلسي،أبوحيّان:البحر المحيط:١٢٩/٧.
[60] - انظر:
- العمادي،أبو السعود:إرشاد العقل السليم:٢٢/٧.
- الخفاجي،الشهاب:حاشيته على البيضاوي:٨٢/٧.
[61] - انظر:البيضاوي،القاضي:أنوار التنزيل:١٨٣/٤،والمصدرين السابقين.
[62] - انظر:
- القزويني،الخطيب:إيضاح التلخيص ص ٣٠٥.
-المراغي،أحمد مصطفى:علوم البلاغة ،ط ٦ المكتبة المحمودية التجارية،القاهرة،١٩٧٢: ص ١٩٩.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الصمم فقْدُ العقل،وكذا الأعمى فإنّه قد يُعوّض فقدان البصرة بما أوتي من بصيرة العقل،فإذا فقد البصر والبصيرة معا لم يعد إلى إفهامه سبيل البتّة.[٦٣]

وانضمّ أيضا إلى الإيغال في تحقيق الوظيفة الاستعاريّة:الاستفهام الإنكاري للتعجيب من استحالة إفهامهم،وتصدير الاستفهام بالمبتدأ (أنت)بعد أن كان فاعلا قبل أن تُبنى الجملة للاسميّة،وفيه كما مرّ دلالة الحصر المرشّحة للإنكار.

ب- وقوله تعالى﴿ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾[آل عمران:١٥٩] [٦٤] ،إذ استُعيرت فيه الغِلْظة للجفاء وعدم المسامحة بجامع الشدّة في كلٍّ،وذلك على سبيل الاستعارة التصريحيّة،وهي استعارة تبعيّة،لكون اللفظ المستعار (غليظ) صفةً مُشبَّهة.

وحصل الإطناب بتعقيب وصف الفظّ بالوصف الذي جرت فيه الاستعارة (غليظ القلب)،وهذا من صور الإطناب التي تُعرَف بالمُرادَفة وقد عرّفها السّجلماسيّ[٦٥]بأنّها:"ترديدُ المعنى الواحد بعينه وبالعدد مرّتين فصاعدا بلفظين مُتّفقي الدّلالة ترادفا أو تداخلا." وبين الفَظاظة وغِلظة القلب شِبه مُرادَفةٍ أو تداخلا -بحسب وصف السّجلماسي-،ومن المفسّرين مَن جعلهما قسيمين،فقيل:الفظاظةُ سُوء الخُلق في الظاهر ،والغِلظةُ سُوؤه في الباطن.وقيل:الفظاظة في القول،والغلظةُ في الفِعل. وفرّق بينهما الفخرُ الرّازيّ[٦٦] بأنْ جعل الفظاظةَ سُوءَ الخُلق،وردَّ غلظة القلب إلى عدم تأثّره،فقد لا يكون الإنسان سيّء الخُلق- أي:فظّا-،ولكنه لا يرقّ لهم ولا يرحمهم،وهذه هي غلظة القلب.لكن يلزم منه أن بينهما عموما وخُصوصا فكلّ سيّءِ خُلقٍ غليظُ القلب،وليس العكس صحيحا.

وبلاغة المرادفة بالاستعارة تعود إلى كونها تفنّنا في التعبير عن المعنى الواحد بالحقيقة أولا وبالمجاز ثانيا،وفي ذلك تقرير للمعنى في ذهن المخاطَب يتحاشى ثقل التكرير الصريح،كما أن بين التعبيرين تعالقا وثيقا كما سلف،وقد أشار الآلوسيّ[٦٧] إلى أنّ العلاقة بينهما سببيّة

---

[٦٣] - انظر في ذلك:
- الزمخشري،محمود:الكشاف:٢/٢٣٨ -٢٣٩.
- البيضاوي،القاضي:أنوار التنزيل:٣/١١٤.
- العمادي،أبو السعود:إرشاد العقل السليم:٤/١٤٨.

[٦٤] - انظر في الآية:
-العمادي،أبو السعود:إرشاد العقل السليم:٢/١٠٥.
-الآلوسي،محمود:روح المعاني:٤/١٠٦.

[٦٥] - السجلماسي،القاسم: المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع،تحقيق علال الغازي،ط١،مكتبة المعارف،الرباط،١٩٨٠،ص٣٣٣ ،وفيه أيضا:"وقد تُرسَمه بالمجيء بكلمتين مختلفتي اللفظ متفقتي المعنى،وقوّتهما واحدة."

[٦٦] - مفاتيح الغيب:٩/٥٢.

[٦٧] -الآلوسي،محمود:روح المعاني:٤/١٠٦. وقد سبقه إلى ذلك أبوحيّان الأندلسي إذ قال في البحر المحيط (٣/٩٨):عن الغلظ تنشأ الفظاظة،فقُدّم ما هو ظاهرٌ للحسّ على ما هو خافٍ،وإنّما يُعلم بظهور أثره.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

،فغِلظةُ القلب سبب،والفظاظة مسبّب عنها،قال:وقُدِّم المُسبَّب لِظُهوره إذ هو الذي يُطّلع عليه.

ج- وقوله تعالى﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج:٤٦]، إذ استعير العمى للضلال بجامع التحيّر والجهل في كلٍّ،على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية،وتقدّم بيان ذلك قريبا.

وحصل الإطناب بالنعت الذي وُصفت به القلوب ،وهو الاسم الموصول في(الَّتِي فِي الصُّدُورِ)،إذ من المعلوم أن القلوب لا تكون إلا في الصدور،فاحتيج إلى معرفة النُّكتة البلاغية المترتّبة على هذه الزيادة،قال الزمخشريّ:"فإن قلتَ:أيُّ فائدةٍ في ذكر الصُّدور ؟قلت:الذي قد تُعورف واعتُقِد أنّ العَمى على الحقيقة مكانه البصر،وهو أن تُصاب الحدَقةُ بما يطمِسُ نُورَها،واستعمالُه في القلب استعارةٌ ومَثَلٌ،فلمّا أُريد إثباتُ ما هو خلاف المُعتقَد مِن نِسبة العَمى إلى القلوب حقيقةً ونفيُه عن الأبصار احتاج هذا التصوير إلى زيادةِ تعيين وفضْلَ تعريفٍ لِيتقرَّر أنّ مكانَ العمى هو القلوبُ لا الأبصارُ.اهـ[٦٨] فالفائدة:المبالغة في استحقاق القلوب للوصف بذلك ،وعدّوه من قبيل قوله تعالى﴿وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾[الأنعام:٣٨]، وقوله﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾[آل عمران:١٦٧]،وفائدة ذلك التوكيد والتقرير.وذُكرت فائدة أخرى تتفرّع عن

التوكيد وهي التهكّم بهم ،لأنّهم لم ينتفعوا بقلوبهم مع شدّة اتّصالها بهم إذ هي قارّة في صدورهم.[٦٩]

وهذا النوع من الإطناب يُعرَف بالتتميم،وعُرِّف بأنّه:أن يُؤتى في كلامٍ لا يُوهِم خلاف المقصود بفَضْلةٍ تُفيد نُكتةً.[٧٠]

وقد سلف شاهدان لهذا النوع من الإطناب في مبحث بناء الفعل لما لم يُسمّ فاعله.

٧- **التكرير:**

أ- قوله تعالى﴿ وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ (٥٢) وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾[سبأ:٥٢-٥٣].في الآيتين استعارتان تمثيليتان[٧١]:إذ شُبِّهت

---

[٦٨] - الكشاف:١٧/٣.
[٦٩] - انظر:ابن عاشور،الطاهر:التحرير والتنوير:٢٩٠/١٧.
[٧٠] - الخطيب،القزويني:إيضاح التلخيص:ص ٣١٣.
[٧١] - ينظر في الاستعارتين:
- الطيبي،الحسين:فتوح الغيب:٥٨٨/١٢ ـ ٥٩٠.
- البيضاوي،القاضي:أنوار التنزيل:٢٥٢/٤.
-العمادي،أبوالسعود:إرشاد العقل السليم:١٤٠/٧

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

في الأولى هيئة الكفّار حال طلبهم النجاة بادّعاء الإيمان بعد فوات الأوان بهيئة من يحاول أن يتناول شيئا بعيدا عن متناوله بجامع استحالة تحقّق المطلوب في كلٍّ،ثم ادُّعي دخول هيئة المشبه في جنس هيئة المشبه به.وشُبّهت في الثانية هيئة الكفار حال تخرّصهم وافترائهم على النبيّ ﷺ بهيئة من يقذف غرضا بعيدا وهو غائب عنه بجامع بُطلان سعيه وخيبة قصده في كلٍّ،ثم ادُّعي دخول هيئة المشبه في جنس هيئة المشبه به.

ونلحظ أنّ التكرار في الاستعارتين جرى في متعلّقي كلّ من المبتدأ (التناوش) والفعل (يقذفون) وهو الجار والمجرور وصفته(من مكان بعيد)مع تناظر موضعيه في الآيتين إذ احتلّ فاصلتيهما.وفائدته:الإيماء إلى أن الجزاء من الجنس العمل،لأن في التكرار إحالةً على اللفظ الأول وهو ما يقتضي تعالقا بين اللفظين، فـ"التكرار في حقيقته إلحاح على جهةٍ هامّة في العبارة يُعنى بها المتكلّم أكثر من عنايته بسواها."[٧٢]

وبيانه:أنّه لمّا أبعد الكفّار في افترائهم على الحقّ والرَّجْم بالغيب ظلما وعدوانا -وذلك في الآية الثانية-،فقد استحقّوا أن يحلّوا بمكان بعيد من النجاة التي يؤمّلون تحصيلها بعد فواتها واستحالتها جزاء وفاقا.وقُدّم ما يخصّ العقوبة في الاستعارة الأولى على السبب المُوجب لاستحقاقها في الثانية لأن المقام مقام تهديد ووعيد للمكذّبين المعاندين،فكان الأليق تقديم ما يناسبه،وتعقيب ذلك بما يُفسّر مُوجِبَه.

ب- وقوله تعالى﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾[التوبة:١٠٩]اشتمل على استعارتين[٧٣]:

الأولى:في تشبيه التقوى بالقاعدة المُحكَمة القويّة بجامع الثبات وسلامة الحال في كلٍّ،ثم حُذف المشبّه به،وكُني عنه بلازم من لوازمه وهو التأسيس،وفي ذكر الرضوان تجريد للاستعارة.

والثانية:في تشبيه النفاق-باعتبار ذكر مُقابله في الأولى وهو التقوى- بما بُني على شفا جُرُف هارٍ بجامع الاختلال وعدم الثبات في كلٍّ،ثم حُذف المشبّه به،وكُني عنه بلازم من لوازمه وهو التأسيس،وفي ذكر الانهيار ترشيحٌ للاستعارة.

---

٧٢ - الملائكة،نازك:قضايا الشعر المعاصر ،ط ١٤ ،دار العلم للملايين،بيروت،٢٠٠٧: ص٢٧٦.

٧٣ - انظر في ذلك:
- الطيبي،الحسين:فتوح الغيب:٣٦٥/٧ -٣٦٧.
-الخفاجي،الشهاب:حاشيته على البيضاوي:٣٦٥/٤ -٣٦٦.
- الألوسي،محمود:روح المعاني:٢٢/١١ -٢٣.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

،فغِلظةُ القلب سبب،والفظاظة مسبّب عنها،قال:وقُدّم المُسبَّب لِظُهوره إذ هو الذي يظـ

عليه.

ج- وقوله تعالى﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾[الحج:٤٦]

،إذ استعير العمى للضلال بجامع التحيّر والجهل في كلٍّ،على سبيل الاستعارة التصريحية

التبعية،وتقدّم بيان ذلك قريبا.

وحصل الإطناب بالنعت الذي وُصفت به القلوب ،وهو الاسم الموصول في(الَّتِي فِي الصُّدُورِ)،إذ من المعلوم أن القلوب لا تكون إلا في الصدور ،فاحتيج إلى معرفة النكتة البلاغية المترتّبة على هذه الزيادة،قال الزمخشريّ:"فإن قلتَ:أيُّ فائدةٍ في ذكر الصدور ؟قلت:الذي قد تُعورف واعتُقِد أنّ العَمى على الحقيقة مكانه البصر،وهو أن تُصاب الحدقة بما يطمِسُ نُورَها،واستعمالُه في القلب استعارةٌ ومَثَلٌ،فلمّا أُريد إثباتُ ما هو خلاف المُعتقَد مِن نِسبة العَمى إلى القلوب حقيقةً ونفيُه عن الأبصار احتاج هذا التصوير إلى زيادة تعيين وفضْلَ تعريفٍ لِيتقرَّر أنّ مكانَ العمى هو القلوبُ لا الأبصارُ.اهـ[68] فالفائدة:المبالغة في استحقاق القلوب للوصف بذلك ،وعدّوه من قبيل قوله تعالى﴿وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾[الأنعام:٣٨]، وقوله﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾[آل عمران:١٦٧]،وفائدة ذلك التوكيد والتقرير .وذُكرت فائدة أخرى تتفرّع عن

التوكيد وهي التهكّم بهم ،لأنّهم لم ينتفعوا بقلوبهم مع شدّة اتّصالها بهم إذ هي قارّة في صدورهم.[69]

وهذا النوع من الإطناب يُعرَف بالتتميم،وعُرِّف بأنّه:أن يُؤتى في كلامٍ لا يُوهِم خلاف المقصود بفَضْلةٍ تُفيد نُكتةً.[70]

وقد سلف شاهدان لهذا النوع من الإطناب في مبحث بناء الفعل لما لم يُسمّ فاعله.

٧- التكرير:

أ- قوله تعالى﴿ وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ (٥٢) وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾[سبأ:٥٢-٥٣].في الآيتين استعارتان تمثيليتان[71]:إذ شُبِّهت

---

٦٨ - الكشاف:١٧/٣.

٦٩ - انظر:ابن عاشور،الطاهر:التحرير والتنوير:٢٩٠/١٧.

٧٠ - الخطيب،القزويني:إيضاح التلخيص:ص ٣١٢.

٧١ - ينظر في الاستعارتين:
- الطيبي،الحسين:فتوح الغيب:٥٨٨/١٢ ـ ٥٩٠.
- البيضاوي،القاضي:أنوار التنزيل:٢٥٢/٤.
-العمادي،أبو السعود:إرشاد العقل السليم:١٤٠/٧.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

في الأولى هيئة الكفّار حال طلبهم النجاة بادّعاء الإيمان بعد فوات الأوان بهيئة من يحاول أن يتناول شيئا بعيدا عن متناوله بجامع استحالة تحقّق المطلوب في كلٍّ،ثم ادُّعي دخول هيئة المشبه في جنس هيئة المشبه به.وشُبّهت في الثانية هيئة الكفار حال تخرّصهم وافترائهم على النبيّ ﷺ بهيئة من يقذف غرضا بعيدا وهو غائب عنه بجامع بُطلان سعيه وخيبة قصده في كلٍّ،ثم ادُّعي دخول هيئة المشبه في جنس هيئة المشبه به.

ونلحظ أنّ التكرار في الاستعارتين جرى في متعلّقي كلٍّ من المبتدأ (التناوش) والفعل (يقذفون) وهو الجار والمجرور وصفته(من مكان بعيد)مع تناظر موضعيه في الآيتين إذ احتلّ فاصلتيهما.وفائدته:الإيماء إلى أن الجزاء من الجنس العمل،لأن في التكرار إحالةً على اللفظ الأول وهو ما يقتضي تعالقا بين اللفظين، فـ"التكرار في حقيقته إلحاح على جهةٍ هامّة في العبارة يُعنى بها المتكلّم أكثر من عنايته بسواها."[٧٢]

وبيانه:أنّه لمّا أبعد الكفّار في افترائهم على الحقّ والرَّجْم بالغيب ظلما وعدوانا -وذلك في الآية الثانية-،فقد استحقّوا أن يحلّوا بمكان بعيد من النجاة التي يؤمّلون تحصيلها بعد فواتها واستحالتها جزاء وفاقا.وقُدّم ما يخصّ العقوبة في الاستعارة الأولى على السبب المُوجب لاستحقاقها في الثانية لأن المقام مقام تهديد ووعيد للمكذّبين المعاندين،فكان الأليق تقديم ما يناسبه،وتعقيب ذلك بما يُفسّر مُوجِبَه.

ب- وقوله تعالى﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾[التوبة:١٠٩]اشتمل على استعارتين[٧٣]:

الأولى:في تشبيه التقوى بالقاعدة المُحكَمة القويّة بجامع الثبات وسلامة الحال في كلٍّ،ثم حُذف المشبّه به،وكُني عنه بلازم من لوازمه وهو التأسيس،وفي ذكر الرضوان تجريد للاستعارة.

والثانية:في تشبيه النفاق-باعتبار ذكر مُقابله في الأولى وهو التقوى- بما بُني على شفا جُرُف هارٍ بجامع الاختلال وعدم الثبات في كلٍّ،ثم حُذف المشبّه به،وكُني عنه بلازم من لوازمه وهو التأسيس،وفي ذكر الانهيار ترشيحٌ للاستعارة.

---

[٧٢] - الملائكة،نازك:قضايا الشعر المعاصر ،ط ١٤ ،دار العلم للملايين،بيروت،٢٠٠٧: ص٢٧٦.

[٧٣] - انظر في ذلك:
- الطيبي،الحسين:فتوح الغيب:٣٦٥/٧ -٣٦٧.
- الخفاجي،الشهاب:حاشيته على البيضاوي:٣٦٥/٤ -٣٦٦.
- الآلوسي،محمود:روح المعاني:٢٢/١١ -٢٣.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وتحتمل أيضا أن تُعدّا تمثيليتين،وذلك بتشبيه [illegible] تقوى الله له بنيانا واستقام عليها بهيئة من أسس بنيانه على أساس متين بجامع الثبات والتمكّن في كلّ شيء ادُّعي دخول هيئة المشبه في جنس هيئة المشبه به.وعلى هذا النَّحو تُقاس الاستعارة الأخرى.

جرى التكرار في صدر الاستعارة الثانية في جملة(مَن أُسِّس بنيانه على)،ويُعرف هذا النوع من التكرير بـ(الترديد) الذي صورته:أن تُعلّق اللّفظَ بمعنىً،ثم تَردّه بعينه متعلّقا بمعنى آخر.[74] وقد عمل التكرير على تقرير حقيقة جليلة وهي أن تشابه الأعمال في ظواهرها لا يجعلها تشترك في الحكم نفسه،إذ إن ذلك التشابه لا يعني أن تتوافق مقاصد أصحابها،ففي حقّ أهل الإيمان ذكرتِ الآية تأسيسا لبنيان،وفي حقّ أهل النفاق ذكرتِ الأمر عينه،وعَمِل الترديدُ هنا على تقرير هذا التماثل الظاهري الخادع بالاعتماد على التماثل اللفظيّ،إلاّ أنّ الأمور تقاس بمقاصدها،والعبرة بالنيات التي تصدر عنها تلك الظواهر،ولمّا كانت الآية الكريمة نزلت في التفريق في الحكم الشرعي بين مسجدين:مسجد الضِّرار الذي ابتناه المنافقون﴿ ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ﴾[التوبة:١٠٧]،ومسجد أهل التقوى – وهو مسجد قباء أو المسجد النبوي على اختلاف المفسّرين في تعيينه-،فقد نبّهت على الاعتناء بهذه الحقيقة الفارقة،وكان الترديد أحد الأساليب التي عملت على تقريرها في الأذهان.

ومن الأساليب المعينة على ذلك علاوة على الاستعارة والترديد:الاستفهام التقريري الذي احتوى هذين اللونين في سياقه،والغايةُ منه:إقرارُ المخاطبين بالتباين الشاسع بين حقيقة المسجدين،وكأنّه لظهوره أمر لا ينبغي أن يختلف عليه اثنان،فكان الإقرار به ضربة لازب لا تقبل التردّدَ والشكّ.

ج- وقوله تعالى﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[الملك:٢٢] فيه استعارتان تمثيليتان[75]:

---

[74] -مطلوب،احمد:معجم المصطلحات البلاغية:١٣٠/٢.

[75] - انظر في ذلك:
- الخفاجي،الشهاب:حاشيته على البيضاوي:٢٢٥/٨.
- الآلوسي،محمود:روح المعاني:١٩/٢٩ -٢٠.
- ابن عاشور،الطاهر:التحرير والتنوير:٤٤/٢٩ -٤٥.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الأولى:تشبيه هيئة الكافر وما يلقاه من عنت جهله وضلاله بهيئة الماشي في طريق وعر فيتعثّر ويخرّ على وجهه في كلّ حين بجامع التخبّط والحيرة في كلٍّ، ثم ادُّعي دخول هيئة المشبه في جنس هيئة المشبه به.

الثانية:تشبيه هيئة المؤمن في استقامة حاله وطمأنينة باله بهيئة الماشي في طريقٍ مستو آمنا فيه من العثرات بجامع الاهتداء والسلامة في كلٍّ، ثم ادُّعي دخول هيئة المشبه في جنس هيئة المشبه به.

ونجد التكرير في الاستعارتين قد عمل على توكيد التناظر بين أبعاض الاستعارتين إذ تكررت الجملة الاستفهامية (أمن يمشي)في صدر الاستعارتين،كما كُرّر أيضا حرف الجر (على) في متعلّق فعليهما على سبيل الترديد،وحصل التقابل المفيد للتباين في الحال المبيّنة لفاعل المشي(مكبّا،سويّا) ومتعلّق الفعل (على وجهه ،على صراط مستقيم).

ولما كان مبنى الاستعارتين على التقابل بين حالي الكافر والمؤمن فقد أعان التكرير على توفير انتباه ذهن المخاطب على ما بين الفريقين من اشتراك في خوض غمار الحياة والسعي فيها فكلاهما يمشي في طريقه الذي اختاره فيها ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾[الإسراء:٨٤]،على حين عمل التباين –فيما لم يقع فيه تكرير–على صرف الأنظار نحو صفة مسير كلّ منهما،وما يترتب عليه من عاقبة.وجاء الاستفهام التقريري التوبيخي ليؤلّف بين جناحي الاستعارة الممتدّة،ويُقرّر أن نفي التساوي بين الفريقين حالا ومآلا هو الإجابة التي لا ينبغي أن يتردّد فيها عاقل أو يتلجلج بها خاطر.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

Aesthetic aspects of metaphor in the holy Quran: A reading in selected samples

This paper talks about the importance of combing between the aspects of rhetoric: "ma'ani", and "bayan ", that is: areas of metaphor, simile etc., and areas of synonymy, antithesis etc. Most scholars do not payenough attention to the way metaphor should be studied. They typically regard metaphor from the second type of perspective. What encouraged this attitude is the traditional division of rhetoric by ancient Arab scholars into three parts.

The materials upon which this paper is based consist of selected examples of metaphor in Quran. The approach which I have adopted recognises the semantic effects of metaphorstructure, and their impact on it, and the role they play in clarifying it.

The topics of this paper are distributed into areas of structure related commonly to substitution and distribution. In order to achieve this goal, the author had benefited from Quran exegesis.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner